مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٣/٢٠١٢ هـ.ق، العدد ١٩ (٢) ١١٩- ١٤٧

الفتاة المصرية في رواية «الباب المفتوح» (دراسة في البناء الروائي)

حنان محمد موسي طاحون[١]، ناصر نيكوبخت[٢]، غلامحسين غلامحسين زاده[٣]، كبري روشنفكر[٤]

تاريخ الوصول: ١٤٣٢/١٠/١١ تاريخ القبول: ١٤٣٣/٦/٢١

تعد رواية «الباب المفتوح» للكاتبة المصرية الدكتورة لطيفة الزيات من أفضل مائة رواية عربية، وذلك لما تتناوله من قضايا ساخنة و منها قضية العلاقة الجدلية بين حرية الفتاة من ناحية و حرية مجتمعها من ناحية أخرى حيث تذهب الكاتبة إلى أن الفتاة لا تجد نفسها حقاً و لا تجد حريتها إلا إذا فقدتها في البداية و الشيء الأكبر و الأهم من ذلك هو – في إطار هذه الرواية – النضال من أجل تحررها و تحرر الوطن من بقايا الإستعمار.

ليلى – بطلة الرواية إلاشكالية – هي فتاة مصرية جامعية تدعو للتحرر من أسر تقاليد و أعراف المجتمع المتهالكة و هي نموذج للفتاة المصرية التي تعيش في ظل مجتمع ذكوري ينظر نظرة دونية للمرأة و يعمل على قمع أحلامها و طموحاتها و قهرها و مع ذلك فهي مثال يحتذي به لقوة إرادتها في الدفاع عن حقوقها.

في نهاية الرواية، تنجح ليلى في أن تحقق انجازاً شخصياً و اختارت من يريد قلبها ليشاركها حياتها الجديدة، و شاركت أيضاً في تحقيق الإنجاز الأكبر و هو تحرير الوطن من بقايا الاستعمار فقد تزامن تحرر شخصية البطلة مع تحرر الوطن.

يدرس هذا المقال عن طريق المنهج الوصفي–التحليلي و في ضوء النقد الاجتماعي صورة الفتاة في الأثر النسوي "الباب المفتوح" للكاتبة لطيفة الزيات للتوعية بدور المرأة الهام – في الفترة المشار اليها في الرواية – في نيل استقلال الوطن و المشاركة في صنع مستقبل أفضل مع الرجل جنباً إلى جنب.

الكلمات الرئيسة: المرأة، الأدب النسائي، لطيفة الزيات، "الباب المفتوح".

١. طالبة دكتوراة بجامعة تربيت مدرس و مدرس مساعد بجامعة القاهرة
٢. استاذ مشارك بجامعة تربيت مدرس
٣. استاذ مشارك بجامعة تربيت مدرس
٤. استاذ مساعد بجامعة تربيت مدرس kroshan@modares.ac.ir

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

المقدمة

إنّ طرح قضايا المرأة السياسية والإقتصادية و الإجتماعية و النفسية و الجسدية يتسم بطابع الجدية عندما تتخذ الكاتبات المرأة محوراً لبطولة قصصهن و محوراً للصراع، و في امتزاجهن ككاتبات مع الشخصية الرئيسة في الرواية للتعبير عن صراعها و صراعهنّ في آن واحد، و بهذا الشكل تنجح الكاتبات في رسم صورة للمرأة يصورن فيها علاقاتها بذاتها و بالآخرين تحقق لها ما كان و من الممكن و من الخطر أن يكون. (ناجي، لا تا، ١٢)

تسعي الرواية نحو الإرتباط بالواقع الإنسانى و عكس آلامه و أحلامه و لهذا تقدم موضوعاتها مخضبة بقضاياه في محاولة منها لتصوير أدق تفاصيله. من هذا المنطلق تداعب الأعمال الأدبية للأديبات المصريات مشاعرنا بنبضات المرأة المصرية. تلك المرأة التي كلما ازداد وعيها، تتفاقم مشكلاتها في ظل مجتمع من مجتمعات العالم الثالث حيث لم تنل حريتها و لم تحصل على بعض حقوقها فيه إلا منذ عهد قريب.

تواجه المرأة في المجتمع المصري العديد من المشكلات منها الإغتراب عن الذات و ازدواجية المعايير التي تدفع المرأة إلى أن تحاول بكل قوتها أن تغيّر الواقع المرير الذي تعيش فيه آملة أن تصل إلى استقلالها الذاتي الذي يخلصها من خضوعها و تبعيتها لذكور ذلك المجتمع.

إنّ قضية المرأة هي قضية التطور الإنساني نحو قيم إنسانية عالية فتحرر المرأة هو مقياس لتحرر الإنسان و تحرير فكره. (السابق، ٣٧) و «الأدب النسائي هو الأدب الذي تكتبه المرأة كقاعدة عامة لأنها بحسب طبيعتها أقدر على الغوص إلى ذلك البعد في حياة المرأة. أما الأدباء الرجال فانهم لا يتكلمون لا عن المرأة بل عن صورة للمرأة، فهم يصورون ما يفتقدونه فيها» (فوزي، ١٩٨٧، ١٤). «فجاء أدبها كردة فعل طبيعية للمألوف السلبي المتوارث الذي يخدش حقوقها و يحد من حريتها» (ذوالقدر، ٢٠١١م، ٣٤ و ٣٥). و في هذا الصدد تقول لطيفة الزيات «الكتابة بالنسبة لي على تعدد مقاصدها فعل من أفعال الحرية و وسيلة من وسائلي لإعادة صياغة ذاتي و مجتمعي» (مهران، ١٩٩٥، ٥١).

لطيفة الزيات كاتبة مصرية و واحدة من أهم مثقفي و مثقفات الوطن العربي و تعد من ضمن كاتباته و ناقداته و هي من أساتذة جامعاته و مناضلاته السياسيات ف «منذ نشأتها و حتى رحيلها عاشت تهّم البحث عن الحرية و أخلصت له و دافعت عنه بكل ما أوتيت من قوة و عانت من جرّاء اصطدامها بواقعه الشيء الكثير» (يوسف، ٢٠٠٦، ٢٩ و ٣٠).

لقد مارست الكاتبة مهنة الكتابة «في وقت كانت المرأة فيه لا تزال في مرحلة التعبير عن حقوقها و أمانيها في الحياة، فاستطاعت أن تعبر عن نفسها و تقف رائدة لبنات جنسها و تفتح الباب على مصراعيه لتدخل منه كوكبة من بنات حواء إلى الميدان الأدبي» (فوزي، ١٩٨٧، ٨٠) فقد تمكنت بروايتها «الباب المفتوح» أن تتحدى المجتمع بتهميشه للمرأة و تعيد إليها مكانتها سواء على المستوى الحياتي أو على مستوى الكتابة.

إنّ صورة المرأة في الرواية كإنسان حر يساهم في بناء الوطن على قدم المساواة مع الرجل لا تظهر إلا بعيد ثورة ١٩٥٢ م، حيث خطت المرأة المصرية أولى خطواتها نحو التحرر فقد أحدثت التغييرات و التحولات التكنولوجية – المصاحبة للثورة – بالمرأة و بحياتها ما أحدثه اكتشاف النار في حياة الإنسان البدائي من تحوله من مرحلة الخضوع للطبيعة إلى مرحلة السيطرة عليها. أي إنّ ظهور نموذج سوي ذو أبعاد انسانية للمرأة لا يتحقق إلا مع بداية التحرر

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

الحقيقي للوطن. و قد ظفرنا بهذه الصورة لأول مرة في رواية "الباب المفتوح" للزيات عام ١٩٦٠ م، و يرجع هذا إلى الوضع الإجتماعي الظالم للمرأة و تحجر العادات و التقاليد التي لا تعترف بتحرير المرأة و لا بشرعية الحب. (ناجي، لا تا، ١٢ و١٣ و ١٤)

و حيث إنّ المنهج الوصفي-التحليلى هو طريقة من طرق التحليل و التفسير بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى أغراض محددة لوضعية أو مشكلة اجتماعية أو إنسانية، فهو يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع و يهتم بوصفها وصفاً دقيقاً. ويهدف إلى تحديد ما يفعله الأفراد في مشكلة ما و الإستفادة من آرائهم و خبراتهم في اتخاذ قرارات مناسبة في مشاكل ذات طبيعة مشابهة. (http://www.bmhh.com). فيدرس المقال صورة الفتاة في رواية "الباب المفتوح" في ضوء النقد الإجتماعي ضمن المنهج الوصفي – التحليلى للتأكيد على أهمية الدور الذي يمكن للمرأة أن تلعبه بشرط أن يكون المجتمع الذي تعيش فيه مجتمعاً يكفل لها حقوقها و يهيأ لها المناخ السليم لتؤدي واجباتها.

إنّ صورة المرأة في الروايات تبعت بالضرورة التغيير الإجتماعي للمجتمع المصري بعيد ثورة ١٩٥٢ م، وما وصلت إليه المرأة في نهاية الأعمال الروائية الخاصة بتلك الفترة من إعلان حريتها و ظهورها كإنسان حرّ له إرادة ليرتبط ارتباطا وثيقا مع بداية تحرر المجتمع الحقيقي. (ناجي، لا تا، ١٥) ففي الرواية تمثل ليلى رمزاً للقهر و مقاومة القهر و ذلك لأنّ المجتمع الذكوري الذي تحيا في ظله يكبل خطواتها نحو طريق الحرية، و يحكم قبضته عليها لأنّ كل ما اقترفته من ذنب هو أنّها أنثى حيث تجد ليلى نفسها حبيسة تلك الدائرة التي تتشابك حولها الأيدي متمثلة في الأب و الأم و الأخ و الخطيب و كل أعضاء المجتمع – الذين يتقدمون بقرابين الطاعة و الولاء بل أحياناً يقدمون أنفسهم فداءً لتقاليده و أعرافه – كيلا يتجرأ أحد على اختراقها و الخروج منها.

و من ناحية أخرى فإن سر نجاح كُتّاب و كاتبات الطبقة المتوسطة يقبعُ فى تصوير و رسم شخصيات فتيات و نساء تلك الطبقة في انتمائهم إلى نفس طبقة الشخصيات الروائية كأنّهم يرسمون بريشتهم لوحة فنية حية معبرة عن أدق تفصيلات تلك الشخصيات. (روشنفكر، ٢٠٠٤، ٥٩).

هذا و قد أخضع لفيف من الباحثين، إبداعات الكاتبة لطيفة الزيات للبحث و الدراسة، و لكننا سنكتفي بذكر الأبحاث المختصة بدراسة رواية ''الباب المفتوح'' والتي تمثل قمة النضج الفني للرواية الواقعية التي وصلت إليها القاصة المصرية (ناجي، لا تا، ١٦):

١. في جماليات الرواية و الإيدلوجية المظاهرة و المعركة الشعبية في الرواية، تحاول الباحثة أمنية رشيد، استخراج العناصر التي تساهم في إثراء التفكير في الرواية و في ترسيخ مبادىء نظريتها، و قدكانت رواية "الباب المفتوح" ضمن الروايات التي قامت ببحثها.
٢. إن مقال إيديولوجية بنية النص، لطيفة الزيات نموذجاً، لفريال جبوري غزول، يحاول إثبات أن روايات لطيفة الزيات نموذجاً يحتذي به في البحث عن ايديولوجية البنية الروائية القصصية.
٣. الرواية في الوطن العربي، لعلى الراعي، يبحث عن قهرالمجتمع لليلى بطلة رواية "الباب المفتوح" و رغبته في ابتلاعها و ملاشاتها.
٤. في الرواية المصرية، لفؤاد دوارة، يحاول الباحث الوصول إلى إثبات أنّ الصراع الذي يجمع خيوط الرواية و شخصياتها هو صراع ليلى و مثيلاتها مع

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

ظروف البيئة الرجعية المحيطة بها.

٥. تدريس سامية محرز فى كتابة الوطن، لطيفة الزيات بين "الباب المفتوح" و "حملة تفتيش"، تدرس الباحثة أوجه الشبه و الإختلاف بين ليلى في «البـــاب المفتـــوح» و لطيفة في «حملة تفتيش».

٦. تفاعل الأنواع في أدب لطيفة الزيات، لزينـــب محمـــد العسال، تهدف دراسة الباحثة إلى تبيين عناصر البنيـــة النصية لأعمال لطيفة الزيات.

نبذة عن الرواية

رواية "الباب المفتوح" هي رواية وطنية و يعد هذا النـــوع من الروايات الأكثر انتشاراً في البلدان العربية التي أفاقـــت من نومها بعد أن رزحت تحت وطأة الإستعمار، فحينمـــا أعلن الشعب المصري الحرب على الإستعمار الإنجليـــزي، انطلق الكتاب المصريون ليسجلوا في أعمالهم أروع الملاحم البطولية الحماسية لرفض الشعب المصري لظلم الإستعمار. (مرتاض، ١٩٩٨، ٤٣ و ٤٤)

تعد رواية "الباب المفتوح" «علامة في تاريخ الروايـــة العربية و تجديداً في فن إرادة الصراع بين حرية الفـــرد و حرية المجتمع و في أسلوب السرد الدرامي و بداية لجيـــل جديد من الكاتبات يؤمن أن تحقيق الـــذات و الرغبـــة في التحرر هي جزء من حرية الوطن و ازدهار الإنسانية فيه و أنّ مهمة الكتابة هي المساعدة على تغيير فكر المجتمـــع و خلق امكانية التطور و التغيير فيه». (مهران، ١٩٩٥، ٥٣)

تربط الكاتبة مصير ليلى بمسار الحركة الوطنية في مصر بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٥٦ م، حيث تستعرض الروايـــة حياة فتاة مصرية من الطبقة المتوسطة منذ مرحلة طفولتها و هي بالحادية عشرة من عمرها مروراً بمرحلة المراهقة إلى أن تصبح فتاة شابة في سن الواحدة و العشرين. فتلتحم مـــع الشعب مشاركة في تحرير الوطن من الاستعمار و دحـــر العدوان الثلاثي و بذلك تنجح في أن تفتح الباب الموصـــد بأعتى الأغلال حين استردت ارادتها و هويتها المسلوبة كما تستعرض الكاتبة تاريخ الوطن في نفس هذه الفترة أي من عام ١٩٤٦ وقتما اندفعت الجماهير الثائرة في تظـــاهرات تطالب بجلاء القوات المحتلة عن أرض مصر و بعدها إلغـــاء الحكومة المصرية لمعاهدة عام ١٩٣٦ و معركة الفدائين في القناة ثم حريق القاهرة و قيام ثورة يوليو عـــام ١٩٥٢ و العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ م، و تختم الرواية بالجلاء التام للقوات البريطانية في نفس العام. و قد نجحت لطيفـــة في تصوير معاناة الفتاة المصرية في مجتمع يمور بالصراع بين المحافظة و التمرد و معاناة الأمة في وطـــن يتـــرنح بـــين الإحتلال و الإستقلال.

تصور الرواية صراع ليلـــى الـــداخلي بـــين شـــقي شخصيتها، الشق المستسلم و الشق المتمرد، و تلقي الضوء على نجاحها في أن تحـــول شخصـــيتها مـــن شخصـــية استسلامية متمثلة في انصياعها لأوامـــر أبيهـــا و أمهـــا و الانقياد لما يمليه عليها مجتمعها إلى شخصيتها الثورية الجديدة الرافضة لقيود مجتمع لا يعترف بالمرأة ككيان فاعل.

الإشكالية:

نتذكر ليلى و قيس ليلى التي حرمهـــا المجتمـــع مـــن أدنى حقوقها فقد سلب منها حق اختيار من يريد قلبها لتكمل حياتها معه و ها هي "ليلى الباب المفتوح" يحاول المجتمـــع ممثلاً في أفراده وأد حريتها و سلب إرادتها. و عندما كانت ليلى تخضع لتقاليـــد المجتمـــع مستســـلمة لهـــا، تكـــون كالكريستال؛ فالكريستال جميل و لكن من السهل تهشيمه و الكريستال سلبي مثلها يعكس الضوء و لا يشعه مثـــل قوتها التي لا تنبعث من داخلها بل تستمدها دائمـــاً مـــن

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

الآخرين.

تناقش الرواية مشكلة ما بعد بلوغ الفتاة و وقوفها على أعتاب عالم الأنوثة في المجتمعات الشرقية حيث يتكشف لها الواقع المرير الذي لا يعترف بالمرأة كإنسان. في وقتٍ «كانت المرأة المصرية لا شيء و سُلبت كل شيء فلا رأي و لا فكر لها و لا فضيلة أو شعور حماسي، كل ذلك و الناس صامتون لأنّ العقول جامدة و النفوس ميتة» (عبادة، ١٩١٩، ١٨)

استطاعت الزيات في روايتها أن تندد بسلبيات المجتمع المصري و تحطيم مبادئه المتحجرة و أن تدين ازدواجيته، ذلك المجتمع الذي منح المرأة بعض حقوقها و كفل لها مساواتها مع الرجل و لكن لأنّ هذه الحقوق لم تدخل حيز التنفيذ وظلت هائمة على الورق، لم تستطع المرأة المصرية أن تحقق الكثير و الكثير من طموحاتها.

في المجتمعات الشرقية، تعمل التنشئة الاجتماعية — الخاضعة لمعايير المجتمع – على منح شخصية الرجل شخصية مستقلة بيد أنّها تشجع المرأة على الإتكالية على الآخرين و تبعاَ لذلك تقل امكانياتها الاستقلالية. هذا الأسلوب التقليدي من التربية يتعارض مع ثقافة الفتاة الجديدة و تعليمها و يؤدي بها في نهاية المطاف إلى شعورها المرير بالغربة عن نفسها و عن كل من حولها. (ناجي، لا تا، ١٢٨ و ١٢٩) فبعد بلوغ ليلى بدأت تتفهم حقيقة وضع الفتاة في ظل مجتمع ذكوري «فهمت أنّها ببلوغها دخلت سجناً ذا حدود مرسومة و على باب السجن وقف أبوها و أخوها و أمها و الحياة مؤلمة بالنسبة للسجان و السجينة، السجان لا ينام الليل خشية أن ينطلق السجين، خشية أن يخرج على الحدود و الحدود محفورة حفرها الناس و وعوها و أقاموا من أنفسهم حراساً عليها» (الزيات، ١٩٩٦، ٢١) و يرمز السجن هنا لسجن الواقع الإجتماعي المقيد لحرية المرأة و انطلاقها، أي ما تفرضه الأعراف و التقاليد على الفتاة، فبمجرد بلوغها مبلغ النساء تدخل في دائرة مغلقة و بمرور الأيام تضيق عليها و تحول بينها وبين الوصول إلى أحلامها و طموحاتها حيث تضطر إلى الخضوع للتقاليد و الأعراف خوفاً من عقاب المجتمع الرادع لها اذا ما خرجت عليها. هذا هو الوجه القبيح لمجتمع «عندما تولد البنت (فيه) يبتسم (أهلها) ابتسامة تسليم» (م. ن، ٣٦) فأهلها لا يرغبون بفتاة تجلب لهم العار لا لشيء إلا لأنّها أنثي. «...و عندما تكبر يسجنونها و يدربونها على فن الحياة! تبتسم و تنحني و تتعطر و تترقق...لكي يرتفع سعرها في السوق و تتزوج أي إنسان و تنتقل إلى منزل الزوج» (م. ن، ٣٦) فهي لا ترقى إلى مستوى البشر بل هي «شيء» خاضع تابع تنتقل ملكيته من الأب إلى الزوج.

أما فيما يتعلق بالحدث الروائي، فإنّ بناء رواية "الباب المفتوح" هو بناء تقليدي يعتمد على الحدث و «البناء التقليدي يعني القص المتسلسلة أحداثه و تظهر فيه ملامح الحدوثة أو الحكاية بوضوح». (ناجي، لا تا، ١٣٥) و يقع على عاهل شخصيات الرواية — التي تعد بمثابة العمود الفقري للجسم – مسئولية إيصال الحدث و إظهاره.

إنّ رواية "الباب المفتوح" كسائر الروايات الواقعية لها بناء روائي محكم حيث يقدم للقارىء ترتيباً منطقياً للأحداث و نمواً طبيعياً للشخصية الرئيسية و انتصاراً للحق في خاتمتها فنجد القارىء يقتنع بأطروحتها، فالرواية تخاطب عقله و وجدانه و تؤكد له أنّ مشكلاته لن تُحل إلاّ بانخراطه في الجماعة انخراطاً بناءً. و الرواية ذات أسلوب يعكس بشفافية سمات الشخصيات الروائية، و يتضمن موقفاً ايديولوجياً أو يحدد معالم مشهد. (غزول، ١٩٩٣، ١١٢)

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]
[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

تقول الزيات من الناحية الفنية: أضفت في رواية الباب المفتوح اضافات أعتقد أنّها كانت جديدة على الرواية المصرية و العربية عامة، لففي هذا الوقت كان الوصف الاستاتيكي الثابت يطغي على الرواية العربية دون السرد الذي يتفتح فيه الحدث ...عمدت إلى السرد و استطعت أن أبني الرواية من اللحظات الدرامية المتراكمة التي تؤدي إلى المعني و التأثير الجمالي في نفس الوقت و استطعت أيضاً أن أستحدث الجديد بالنسبة للغة إذ جعلتها لغة سهلة للغاية تخلو من الكليشيهات المحفوظة (غريب، ١٩٩٣، ٤٠).

الشخصية الرئيسية

ليلى هي الشخصية الرئيسة في رواية "الباب المفتوح" و هي فتاة من جيل الأربعينيات و الخمسينيات، تلك الحقبة الحبلى بالثورات و التظاهرات و النضال و الدفاع عن الوطن و الرغبة في نيل الإستقلال، تحاول أن تكون لها شخصية مستقلة في مجتمع ذكوري يعتمد الكثير من أساليب القمع.

رسمت الزيات شخصية ليلى بدقة فائقة، فقد برعت في رسم ملامحها في مراحلها العمرية المختلفة و التغييرات التي تطرأ عليها في حالاتها النفسية المختلفة، و نبرات صوتها، و لحظات سعادتها و حزنها، و آمالها و آلامها، ... فانطلقت من بين طيات الورق بوجودها الفيزيقي ليتفاعل معها القارىء، و «شخصيات الرواية الوطنية هي شخصيات نبيلة، تتمتع بصفات خيرة كالنزعة النضالية و نشدان الحرية و نبذ الظلم و العدوان و رفض الباطل و الإضطهاد» (مرتاض، ١٩٩٨، ٤٤).

تنقسم حياة ليلى إلى ثلاثة مراحل؛ مرحلة الطفولة، مرحلة المراهقة و مرحلة الشباب. ففي مرحلة الطفولة يلمس القارىء العنف الذي يمارسه جميع أفراد الأسرة ضد ليلى فالأب يحاول أن يمحو شخصيتها، و الأم توبخها توبيخاً عنيفاً بل تدعو الله أن يأخذها إلى جواره و الأخ هو الذي لا يفتخر بأن له أختاً، و مع كل هذا العذاب و المعاملة القاسية التي تلاقيها ليلى من كلا الوالدين نجد أنّ شخصيتها تتمتع منذ الطفولة بقدر كاف من اللجاجة و يتضح ذلك من إصرارها على التفوق في المدرسة كمحاولة منها لاثبات الذات خارج هذا البيت الموحش بل حلمت بأنّها يوماً ما سوف تشارك الجماهير المحتشدة لتحرير الوطن من الاستعمار.

و عندما تبلغ ليلى مبلغ النساء يجعلها أفراد عائلتها تحس أنّها عاراً يجب وأده روحياً فينتحب الأب و تعمل الأم و الأخ على تضيق الخناق عليها، و بالرغم من ذلك فقد كانت تتمتع بوعي و حس ثقافيين فهي تتابع أخبار بلدها عن طريق الراديو و تقرأ في الكتب عن مجدها و تاريخها العظيم و كانت تتمتع أيضاً بوعي سياسي، فبعد إلغاء الحكومة معاهدة ١٩٣٦ اشتركت في مظاهرات الطالبات و الطلبة و اعتلت أكتاف الطلبات و هتفت بصوت الحرية و عندما عادت إلى البيت، انهال عليها الأب ضرباً و قامت أمها و أخوها بقهرها معنوياً حتى أحست أنّها ليست إنسانة بل هي «ممسحة أحذية» (الزيات، ١٩٩٦، ٤٩ و ١٥٢). و في مرحلة الشباب تستمر ضغوط المجتمع بتقاليده و أعرافه عليها و ينضم عضو جديد إليهم و هو الدكتور رمزي خطيبها و الذي يعد امتداداً لشخصية الأب مما أدى إلى وقوعها في دوامة لا آخر لها و تشتيت أفكارها نتيجة لإحساسها بغربتها عن ذاتها فقد كان عليها أن تقوم بتنفيذ أوامرهم مغمضة العينين دون أدنى اعتراض.

تعد شخصية ليلى من الشخصيات المدورة أي أنّها «الشخصية المركبة المعقدة التي لا تستقر على حال و لا تصطلي لها نار و لا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقاً ما

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

سيؤول إليه أمرها لأنها متغيرة الأحوال و متبدلة الأطوار ...إنّها هي الشخصية المغامرة الشجاعة المعقدة و التي تكره و تحب و تصعد و تهبط و تؤمن و تكفر و تفعل الخير كما تفعل الشر» (مرتاض، ۱۹۹۸، ۸۸ و ۸۹).

العلاقات الأنثوية في الرواية:

تعاني ليلى من التحجر الفكري للشخصيات النسائية في الرواية مثل أمها، خالتها، دولت هانم وعديلة لخضوعهن إما لتقاليد المجتمع البالية أو للرجال الذين يدينون بالولاء لهذه التقاليد حيث يسعين – بتمسكن بأفكار بالية وعقائد خاطئة – لعرقلة مسيرة ليلى و طمس معالم شخصيتها و مع ذلك نرى ليلى تخوض معركة الحرية وحيدة لإيمانها بقضية المرأة و بأهمية الدور الملقى على عاتقها للنهوض بمجتمعها. وهنا سوف يستعرض البحث تلك الشخصيات و علاقتهن بالبطلة.

تتنوع علاقات ليلى ببطلات الرواية ما بين علاقة البنت بأمها و علاقات الصداقة بقريناتها و علاقاتها بمن هن أكبر منها سناً سواء علاقتها بخالتها أو علاقتها بصديقات أمها. و لكل علاقة من تلك العلاقات دور في تشكيل شخصية ليلى و صقلها.

الأم:

هي التي تطيع زوجها طاعة عمياء تمشي دائماً في البيت على أطراف أصابعها خوفاً من أن تعكر صفو مزاج الأب كيلا ترتكب ما يوجب تعنيفه و عندما تضرب كفاً بكف، تحاول ألا يسمع للضربة صوتاً. و رغم تعرض الأم للقهر من قبل الأب فإنّها للأسف تحاول إسقاط ذلك في تعاملها مع ابنتها ليلى فنجد أنّ أمها تطالع ليلى – في طفولتها – دائماً «بنظرة برود» (الزيات، ۱۹۹۶، ۱۵) في محاولات منها لتثبيط همة ابنتها بل و يمتد ذلك إلى ضرب ليلى وتوبيخها توبيخاً شديداً اذا ما اقترفت فعلاً خاطئاً و دائماً ما تذكر أن الله قد أتعسها لأنّها أماً لفتاة بل و تدعو الله أن يأخذها إلى جواره (م. ن، ص ١٦).

و في مرحلة مراهقة ليلى أخذت دائرة الأصول و الأعراف الإجتماعية تضيق و تضيق على ليلى و زاد الخناق عليها فنرى أنّها «لو تمردت أو ثارت، لظلت أمها تعنفها بالساعات و لأنتزعها أبوها من سريرها ليلقي عليها درساً في الأخلاق» (م. ن، ۲۸) فتحولت ليلى من إنسانة إلى دمية ماريونت يحركون خيوطها بأصابعهم أينما و كيفما شاءوا. «كانت الآن قد تدربت بما فيه الكفاية كانت قد تعلمت كيف تبتسم في أدب و كيف و متى تضحك و متى تجلس و متى تنسحب و كيف تنصت باهتمام مهما كان الحديث تافهاً و متى تهز رأسها بالموافقة و متى تبدي إعجابها أو عجبها» (م. ن، ۲۸). و إن سألت أمها عن سر هذه التعقيدات أجابتها بالإجابة المعتادة «اللي يمشي على الأصول ما يغلطش» (م. ن، ۲۳) و يوماً بعد يوم تزيد الأم من أوامرها و نواهيها على ليلى «كقطرات الماء تسقط بروي و نظام، يسلب رويها و نظامها النوم من عيني النائم» (م. ن، ۲۳).

وعندما اعتقدت ليلى أنّها تستطيع أن تعبر عن رأيها و تشارك في المظاهرات بعدما قامت الحكومة المصرية بالغاء معاهدة ١٩٣٦، اعتبرت أمها أنّ ما فعلته ليلى فضيحة أمام الناس و عار لا يمكن محوه و أشارت أنّها بهذه الأفعال تتعس نفسها بيديها و تهدم مستقبلها.

فالأم هنا سلبية و ضعيفة بدلاً من أن يكون لها دوراً إيجابياً في صقل شخصية أبنائها، يكون لها دور سلبّي بمحاولة فرض قيم المجتمع المهترئة عليهم مما يؤدي إلى إحساس أبنائها و بصفة خاصة بناتها بالغربة عن ذواتهن.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

عديلة

هي واحدة من صديقات ليلى و التي بالرغم من أنّها التحقت بالجامعة إلا أنّها تمثل الرضوخ لأعراف المجتمع فتستسلم استسلاماً تاماً لتقاليده التي تعطي الحرية للرجل أن يختار من تشاركه حياته و لكنه يحرم البنت من نفس الحق فعندما علمت بحب ليلى لحسين، انزعجت و أقنعت ليلى أن ما تفعله سيدمر لها مستقبلها اعتقاداً منها بأنّ حسين سوف يستغل هذه العلاقة استغلالاً سيئاً ليدمر مستقبل ليلى آنفاً مؤكدة لليلى أنّها ليست «رخيصة» (م. ن، ۲۱۵) لكنّها عندما تحدت العادات و التقاليد و اختارت من تحب نالت كي تتحدى احتقار هذا الرجل في النهاية. و بالفعل تقطع ليلى علاقتها بحسين و تعود مرة أخرى حبيسة أعراف و تقاليد المجتمع.

الفتاة المثالية «سناء»

سناء صديقة ليلى هي الشخصية النسائية الوحيدة في الرواية التي انتقتها الكاتبة لتجعلها مثالاً يحتذي به الفتيات فهي على النقيض من عديلة؛ فعندما كانت مراهقة نجدها تحلل وضع المرأة المؤسف في المجتمعات الشرقية المزدوجة المعايير قائلة: «والله احنا مصيبتنا سودة على الأقل أمهاتنا كانوا فاهمين وضعهم أما احنا، احنا ضايعين، لا احنا فاهمين اذا كنا حريم و لا مش حريم، ان كان الحب حرام و لا حلال، أهلنا بيقولوا حرام و راديو الحكومة طول الليل و النهار بيغني للحب و الكتب بتقول للبنت روحي أنت حرة، و إن صدقت البنت تبقي مصيبة، تبقى سمعتها زفت و هباب...بالذمة ده وضع؟ بالذمة احنا مش غلابة؟!» (م. ن، ۷۱). و من هذا المنطلق تعارض كل التقاليد و الأعراف المتوارثة المهترئة بشجاعة فنجدها تختار من تحب أن يشاركها حياتها و هو محمود شقيق ليلى و لم تخش من كلام الناس و نظرة المجتمع لها «كانت معتزة بنفسها...و كان ذلك الإعتزاز ينبعث من ايمان مطلق بصحة تصرفاتها ...كانت تطوي ضلوعها على عزيمة جبارة و على قدرة عملية...كانت تعرف ماذا تريد و كيف تصل إلى ما تريد و كيف تحتفظ به» (م. ن، ۲۰۱) و حين فتح باب التطوع للطالبات في الحرس الوطني كانت هي أول من تطوعت و حين لم توفق ليلى في القيام بما يطلبه منها الشاويش في التدريبات بسبب فقدها ثقتها بنفسها، ساعدتها سناء و قالت لها إنّ سر التفوق أن تشعر الفتاة بالثقة في كل ما تفعله، و عندما اعترفت ليلى لسناء في إحدى حواراتها معها و هي في حالة اللاوعي، أنّ زواجها من الدكتور رمزي هو قدرها الذي لا تستطيع تغييره، أجابتها سناء في ثقة «مافيش حاجة اسمها نصيب، احنا اللي بنصنع نصيبنا» (م. ن، ۳۰۱). و هي أيضاً طالبة يشهد لها بالتفوق الدراسي.

الجدير بالذكر أنّ «فشل ليلى في الوقوف في صف سناء نفسياً راجع لعدم تمكنها من الاستجابة للتحدي و لهذا فهي تميل نحو عديلة التي تضمن لها بقيمها و نصائحها الركون و الركود و عدم المواجهة» (غزول، ۱۹۹۳، ۱۲۰).

«دولت هانم» و «سنية» خالة ليلى

هاتان المرأتان – طبق معايير المجتمع الزائفة– قامتا بتزويج ابنتيهما «صفاء» ابنة الأولى و «جميلة» ابنة الثانية من رجلين لا يملكلان أي مقومات الزوج الصالح عدا أنهما يملكلان من المال الكثير، و عندما تخفقان الزوجتان الشابتان في استكمال حياتيهما مع هذين الرجلين و يستنجدان بوالدتيهما، تغلق والدتاهما الباب في وجهيهما حيث من وجهة نظر الأمهات إنّ ما تريده الفتاتان يعد

خرقاً للأصول و التقاليد المتعارف عليها و التي تعتبراها مقدسة ولايجوز المساس بها. و حينذاك تنتحر صفاء شهيدة مجتمع قاس لا يرحم من تسول له نفسه الخروج على تقاليده المرسومة. أما جميلة فبعد أن حاولت الإنتحار بسبب رفض أمها فقد نجت من موت محقق، لكنها أقدمت على الإنتحار الأخلاقي فقامت بخيانة زوجها مع أي رجل تقابله.

فهنا نلاحظ ليلى تتشكك في آرائها و اعتقاداها عندما ترى أنّ المجتمع لم يصدر حكماً رادعاً ضد هاتين المرأتين؛ بل على العكس يشجعهما و يشجع من يقومون بمثل ما قامتا به فتتساءل ليلى «هل يمكن أن تكون مخطئة؟» و وجدت نفسها تكرر جملة أمها التي كانت سبب عذابها «اللي يعرف الأصول ما يغلطش». (م. ن، ٣٩) فتشك ليلى في مرحلة مراهقتها في كل ما تربت عليه من آداب.

تعرض جسد ليلى في تلك المرحلة لتجاوز أخلاقي من قبل دولت هانم التي كانت تحرص على أن تعاين جسدها و تمر عليه بيدها في بطء من أعلى إلى أسفل و من أسفل إلى أعلي لتتعرف على حناياه، و تعتبر ليلى نفسها حين تقوم دولت هانم بمعاينة جسدها أنّها «جاموسة معروضة للبيع» (م. ن، ٣٤). و هي تشبه هناكل الفتيات اللاتي يتعرضن لمثل هذه المواقف أنّهن مثل الدواب اللاتي تساق إلى الحظيرة حين يسمحن بأن تتم معاينتهن بغرض الزواج.

و ذات يوم ألقت دولت هانم بالقنبلة الموقوتة في وجه ليلى عندما قالت لها : «البنت لازمها فستان كويس يبرز كسمها و لازمها كورسيه يرفع صدرها و يشد وسطها...البنت إن ما كانتش تلبس ما يقلهاش سعر في السوق» (م.ن، ٣٦). فقد أضحت هذه العبارة شبح البطلة الذي يظهر لها دوماً و يطاردها في صحوها و نومها، فهذه العبارة تعبّر عن نظرة المجتمع الدونية للمرأة باعتبارها جارية في سوق الرقيق خلقت فقط لأنّ جُلّ دورها في الحياة أن تنال رضا الرجل و تشبع رغباته الجنسية.

تطور شخصية ليلى في ضوء تأثير رجال الرواية على حياتها:

في لحظة من اللحظات تعترف ليلى أنّها حتى و إن كانت قوية في بعض المواقف و لكنها قوة «لا تنبع من داخلها بل تأتي من الخارج» (م. ن، ٥٧). فترى ليلى أنّ المجتمع بتقاليده البالية و بأفراده يحاول محاولات مستميتة في أن يمحو شخصيتها و أن يهمشها فينجح في جعلها هشة ضعيفة من الداخل و لهذا تلجأ ليلى دوماً إلى الآخرين لتحتمي بهم و لتستمد قدرتها على الفعل منهم أو تحديداً من رجال إن فقدتهم تفقد هويتها إلى الأبد فتصبح لا شيء، فهي في مرحلة الطفولة تلجأ إلى أخيها محمود فهو رمز الفدائية في قصة نضاله مع قوات الإحتلال، ثم من حبيبها في مرحلة المراهقة عصام، و في المرحلة الجامعية من الدكتور رمزي أستاذها في الجامعة و خطيبها.

و لكن هؤلاء الرجال تبعاً لوجودهم في مجتمع يعاني من فجوة بين القول و الفعل، يعانون من ازدواجية في التفكير فعندما يدافع محمود عن حق الفتاة في الحب و اختيار شريك الحياة، لا يقبل أن تكون هذه الفتاة أخته أو مثلا عصام الذي يدعي حبه لليلى و لكنه في نفس الوقت يعتبر الفتاة ما هي الا جسد خلق لإشباع رغباته و كذلك الدكتور رمزي و نظرته المتدنية للمرأة فهو يؤمن بأنّ المرأة التي تحب هي امرأة فاسدة لا تستحق الحياة بينما الرجل، بما أنّه رجل، له الحق كلّ الحق في أن يصطاد فريسته و يلتهمها و يلقي بعظامها بعيداً فهي لا تستحق منه حتى مجرد التفكير فالحب لديه لا يزيد على كونه مجرد شهوة جسدية.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

في هذا المجال يستعرض المقال الشخصيات الذكورية في الرواية و علاقتهم بليلى.

الأب

يستطيع القاريء من بداية الرواية أن يستشف ملامح العلاقة المبتورة بين الأب وابنته التي يقهرها بنظراته و عباراته و إشاراته، فعندما تحاول أن تتحدث معه فهناك دوماً شيئاً ما يلجم لسانها و يمنعها من الكلام.

ثم ترهص الرواية بما ستكون عليه شخصية ليلى من وطنية عندما تنضج «لما أكبر حأضرب الانجليز ... حأضربهم بالسلاح لما أكبر» (م.ن، ١٣). و في تأكيد على العلاقة المتوترة بين الأب و ابنته، نجد أنّ ليلى ما لبثت أن تنطق بهذه الكلمات بحماستها المعتادة الا أنّها بمجرد رؤيتها لأبيها، «تسمرت في مكانها و سقط ذراعها إلى جانبها و ماتت الكلمات على شفتيها» (م. ن، ١٣و ١٤).

وذات يوم كان أبوها يقول موجهاً كلامه – الذي ينم عن نظرة المجتمع للفتاة – إلى محمود «ليلى مش بنتنا لقيناها على باب الجامع حتى شوف يا محمود أنا أبيض و انت أبيض و ماما بيضة ليلى بس اللي سودة» (م. ن، ٤٧). و عندما مرض أبوها و هرعت اليه ليلى و هو راقد على سرير المرض لتحتضنه، أبعدها عنه بعنف و قال لها أنّها مثل «الدبة» التي أرادت أن تحضن ابنها فمات. فتوصلت إلى أنّ «كل ما تفعله غلط في غلط و ليس هناك من يحبها» (الزيات، ١٩٩٦، ٤٧).

تتناول لطيفة قضية عدم المساواة بين الرجل و المرأة فتلقي الضوء على تفرقة الوالد الواضحة بين ابنته و ابنه، فعندما بلغت ليلى اعتقدت أن أباها سيفرح لوقوفها على أعتاب عالم الأنوثة كما فرح عندما بدأ الشعر ينمو في ذقن أخيها و لكن سلب منها أبوها الاحساس بالفرحة و جعلها تحس بالخوف من العار و الفضيحة فكأنه بدأ رحلة المعاناة للحفاظ على ابنته و يلهج لسانه مناجياً الله تعالي أن يستر ابنته (م. ن، ٢١) و تعد هذه الحادثة هي عقدة الرواية الفنية حيث تصاب ليلى بأزمة نفسية فترتجف أوصالها و تهرع إلى غرفتها و ترتمي في فراشها و تسحب الغطاء على وجهها و جسمها بل و على مشاعرها الوليدة، تلك الغرفة التي أصبحت عالمها الخاص حيث تبتعد عن مجتمعها و ثقافته المفروضة عليها و وفق تقاليد المجتمع المهترئة، تبع دخول ليلى إلى هذه المرحلة، فرض مجموعة من المحظورات و الممنوعات عليها من قِبل الأب.

و يزداد شعور ليلى بهذه التفرقة الغريبة بين الذكر و الأنثي يوماً بعد يوم ففي مرحلة مراهقة ليلى، عندما قامت الحكومة المصرية بالغاء معاهدة ١٩٣٦، أبت ليلى أن تدور حول مدار الأنا المحدودة و فضلت أن تنخرط في ذات الجماعة اللا محدودة كوسيلة للهروب من مأزق الاغتراب و شاركت في التظاهرات و لكن عندما عادت إلى البيت، انقض عليها أبوها و ضربها بشدة و لم تأخذه بها شفقة و لا رحمة فقد شعرت أن والدها قد سلب منها أعز ما تملك، سلب انسانيتها «أنا اتقتلت خلاص انتهيت. بعد اللي حصل النهاردة كل حاجة اتغيرت ما بقتش إنسانة بقيت ممسحة جزم!» (م. ن، ١٩٩٦، ٤٩) و وصل بها استسلامها إلى درجة أنّها فكرت في الانتحار. و هنا يستطيع القاريء أن يقارن وضع المرأة المتدني بوضع الرجل في هذا المجتمع فعندما شارك أخوها محمود في المظاهرات في أول الرواية انزعج أبوه خوفاً عليه من أن يصيبه مكروه و عندما عاد تعامل معه بشكل طبيعي و لكنه تصرف بوحشية مطلقة مع ابنته ليلى كأن ليس لها الحق – كإنسانة – أن تتظاهر مع الجموع الغفيرة مشاركة في استرداد حرية بلادها.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

و في مرحلة شبابها عندما تكشفت لليلى حقيقة الدكتور رمزي – خطيبها – حاولت أن تجري نحو أبيها ليخلصها من عذابها و ينهي علاقته بهذا الذئب المتنكر في هيئة انسان، و لكنه نهرها لمجرد أنّها دخلت عليه حجرته دون أن تدق الباب و انقض عليها مهدداً «بوجه جامد و بجسم متصلب و كأنه آلة تقترب منها في بطء لتسحقها» (م.ن، ٢٨٧).

و عندما أحب شقيقها محمود سناء كان من وجهة نظر أبيه قد خالف الأصول و بالرغم من أن المشكلة لم تكن تمت بصلة لليلى إلا أنّ أبيها ألقي باللوم عليها لا لشيء الا لأنّ سناء صديقتها و قال لها مهدداً «و الله دي لو كانت بنتي لكنت قتلتها ...قتلتها قتل» (م. ن، ٢٧٩) كيلا تسول إليها نفسها و تختار أن تتزوج من تحب.

الأخ

تذكرت ليلى و هي في مرحلة الطفولة عندما كان شقيقها «محمود» يقول لها مؤكداً أنّها ليست أخته حيث تشير الكاتبة إلى وضع الفتاة المزري في المجتمعات الشرقية إذ يخجل الأخ من أن له أختاً. وفي مرحلة المراهقة حينما التحمت ليلى مع الشعب المصري مشاركة في المظاهرات فإنّ أخوها محمود الذي يتشدق بشعارات المساواة بين الرجل و المرأة قال لها إنّها قد اقترفت خطأً و إنّها اذا عاشت طبق الأصول فانها لن تتألم أبداً، عندئذ واجهته ليلى بأن كلامه و اعتقاداته مجرد اعتقادات «على الورق» و لن تدخل أبداً في حيز التنفيذ و قالت له في غضب إنّها عندما شاركت في التظاهرات اعتقدت أنّها إنسانة و نسيت أنّها ليست كذلك و أنّها مجرد «فتاة»!. (م. ن، ٥٠).

في الحقيقة إنّ المرأة في المجتمع المصري تواجه تياران متعارضان و متناقضان أحدهما التيار الغربي الليبرإلي الجديد الذي ينظر للمرأة على أنّها وسيلة للدعاية الاستهلاكية و الآخر هو التيار التقليدي الرجعي و المرأة لديه ليست إلا أداة للانجاب و إدارة شئون المترل، و يعتبر التيار الثاني هو التيار المهيمن على الطبقة المتوسطة (روشنفكر، ١٣٨٦، ٣٠)و التي تعد ليلى واحدة من بناتها.

نجد محمود يتشدق بمجموعة من المبادىء و الأفكار في حين يقف ما تربي عليه حائلاً دون أن يقوم بالعمل بها. فهو يدافع عن حق الفتاة في الحب و اختيار شريك الحياة بينما لا يقبل أن تكون هذه الفتاة أخته. و عندما شنت قوات التحالف الثلاثي هجماها على مصر أصر محمود أن ترحل ليلى و زوجته إلى القاهرة و تتركان المدينة للرجال لكي يقوموا بواجبهم المقدس في الدفاع عن الوطن رافضاً محاولات زوجته لأثنائه عن قراره قائلاً «قلت لكم حاتعطلونا، حاتزحمونا، البنت اللي عايزة تخدم صحيح، تسيب البلد للرجالة» (الزيات، ١٩٩٦، ٣٢٤).

مع هذا كانت ترى ليلى محمود قدوةً لها، فحين يتحدث عن الأوضاع الإجتماعية و السياسية في المجتمع «تلمع عينا ليلى» (م. ن، ٢٦) وفي داخل البيت محمود هو الشخص الوحيد الذي تنتظره ليلى بفارغ الصبر كي يأتي لها بنسمات الحرية من خارج البيت، فقد كانت ترى الدنيا من خلاله. و الجدير بالذكر أنّه لولا محمود لم تكمل ليلى تعليمها في المرحلة الثانوية، فقد اعترض أبوها و لكن أمام اصرار محمود لم يجد بداً من القبول بمواصلة تعليمها. (م. ن، ٣٢).

عصام

تمردت ليلى على تقاليد المجتمع عندما دق قلبها دقة عنيفة لأول طارق له و كان هذا الطارق عصام ابن خالتها، فقد كانت تأمل أن يحمل ذلك العشق في طياته نسائم الحرية. و

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

تفاءلت ليلى بأن يكون هذا الحب بارقة أمل يعيد إليها انسانيتها و ثقتها بنفسها من جديد. و بعدما كانت تهرب من واقعها المرير بالانغماس في أحلام اليقظة، فقد أحست أنّها لا حاجة لها بالهرب بعد الآن فقد منحها عصام مفتاح باب دنيا جديدة دنيا واقعية و لكنها دنيا حرة أبية تستطيع فيها أن تعيش كما يحلو لها مع من اختاره قلبها بعيداً عن قيود المجتمع و تقاليده. و لكن للأسف ساهمت نظرة عصام الدونية للمرأة في بناء ذلك السد الذي سرعان ما ارتفع بينهما. فعلاوة على أنه غير مؤمن بتعليم المرأة فهو يرى أنّه لا يصح أن تختلط الفتيات بالذكور و أنّ «كل بنت مسيرها الجواز» (م. ن، ۷۴). و أنّ حبه لليلى أيضاً ليس حباً إنّما شهوة، فهو يفكر فيها كجسد، و عندما أصاب علاقته بليلى الفتور لرفضه الذهاب إلى القناة، حاول أن يستعيد ليلى و لكن بطريقته فانقض عليها كحيوان تحركه شهوته فتتشكك ليلى في حبه لها لأنّ الحب في تصورها يحمل الجانب الرومانسي لا تشوبه شوائب الشهوة الجسدية فتقطع علاقتها به و عندما اعترف لها عصام بحقيقة مخاوفه من هذا الحب و أنّه يشعر بأنّه يخون ثقة أهلها به، أحست ليلى أنّ عصام يعتبرها «ملكاً لهم» (م. ن، ۱۱۵) «و العاطفة التي يملؤُها هي بالفخر و الإعتداد و بالرغبة في الحياة يملؤُها هو بالشعور بالإثم» (م. ن، ۱۱۴) و نجد أيضاً أن ليلى و هي في أوج نزاعها، تفكر بالوطن، و عندما لامته ليلى على عدم سفره إلى القناة، انفجر عصام غاضباً معلناً لها أنّها شاذة عن كل البنات فالفتاة من وجهة نظره لا تفكر في مثل هذه الأشياء.

بعد إلحاح عصام و توسلاته إلى ليلى و إصراره على الزواج منها، عادت المياه إلى مجاريها و لكن ليلى أدركت أنّ المجتمع سيعمل على تفريقهما بكل السبل فهي أولاً قد اختارت عصام و ثانياً من اختارته ليس لديه امكانيات الزواج فأمها تريد لها زوجاً مثل زوج ابنة خالتها، و أمه لن تسمح له بالزواج فلا بد أن يتخرج و يعمل و يمتلك ثروة. فقالت ليلى لنفسها إنّ المجتمع الظالم قد رسم لكل من يعيش فيه خطة مستقبلية و «من خرج على الخطة المرسومة و على الأصول ضربوه كما ضربها أبوها حين خرجت في المظاهرة و حرموه من حبهم كما حرم أبوها محمود من حبه حين سافر إلى جبهة القتال أو حتى قتلوه كما قتلوا صفاء» (م. ن، ۱۱۸). و في حفل خطبة جميلة، و عندما تعرضت ليلى لمضايقات «صدقي» اعتبرها عصام «رخيصة» (م. ن، ۱۲۵) و أنّها قامت بتشجيعه بالرغم من أنّها هي الضحية و أنّ رجلاً مثله هو الذي اعتدى عليها بمغازلاته. و مرة أخرى حاول عصام الاعتداء عليها بشهوانيته المعهودة و قال لها «انت بتاعتي أنا. ملكي أنا...فاهمة؟» (م. ن، ۱۳۰). حينذاك تواجهه ليلى صارخة و قد اعترتها ثورة عارمة كالقطة المتنمرة «أنا مش ملكك و لا ملك أي إنسان...أنا حرة...فاهم؟» (م. ن، ۱۳۱) و عندما سمع عصام هذا الكلام لم يتمالك نفسه كأنّه ينكر على فتاة مثلها أن تتحدث هكذا مع رجل، و أحس برغبة عارمة في أن ينتصر عليها و يجعلها تدرك أنّها ضعيفة لا تقوي على مثل هذا الكلام و مرة أخرى تملكته شهوته و أراد أن يفعل فعلته و لولا مجيء الخادمة المفاجىء و قرعها الباب لما نجت ليلى من براثن عصام.

تتمثل أزمة الرواية في اكتشاف ليلى - عن طريق ابنة خالتها جميلة - بخيانة عصام لها مع الخادمة و تتفاجأ ليلى برد فعل جميلة إذ أنّها لا تعتبر ما يجري خيانة و إنما هو حق مسلم لكل شاب لم يتزوج بعد. حينذاك تنهار ليلى و «إذ ذاك ترى العرى سمة عامة في عصام و أخته و المجتمع الذي يوحي لهما بما يفعلان» (الراعي، ۱۹۹۱، ۸۰) و في حالة من اللاوعي أخذت يداها تضمان فتحة صدر ثوبها ثم

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

تشدان طرف الثوب إلى أطراف أصابعها» (الزيات، ١٩٩٦، ١٤٤) فهي تحاول ألا تتسم بهذه السمة و تفقد ليلى مرة أخرى الثقة بنفسها و بكل من حولها و تلقي بجسدها في الفراغ الذي تركه مصعد بيتهم و حباله تجذبها إلى أسفل محاولة الإنتحار و تنقذها جميلة.

تعد خيانة عصام لليلى منعطف خطير و علامة فارقة في حياتها فقد أقرت بينها و بين نفسها أن ما جرى لها بسبب أنّها قد خرجت على أصول المجتمع و تقاليده فقد «تحدت أباها و تحدت أمها و تحدت تقاليدهم و أصولهم و أحبت» (م. ن، ١٥٠) فأحست بأنّها بحاجة إلى التمسك بالتقاليد التي طالما كرهتها و أرادت تحطيمها. و هذا نتيجة لعدم شعور الفتاة بالقدرة على السيطرة على مجريات الأمور و توجيهها حيث تتحكم فيها الظروف المحيطة بها التي لا تستطيع أن تعيها و تتواءم معها، و تبعاً لذلك تحس بخلو حياتها من كل معنى و هدف و يصاحب ذلك تحول شخصية الفتاة من شخصية إيجابية فاعلة إلى شخصية سلبية انفعالية، و تلك هي أبرز أبعاد الإغتراب عن الذات.

حسين

في نفس اليوم الذي اكتشفت ليلى خيانة عصام لها، يظهر «حسين» في أفق حياتها و هو رفيق محمود في النضال و بمجرد أن رأها حسين أدرك أنه وجد نصفه الأخر الذي يبحث عنه و رغب في الزواج بها و لكن ليلى كانت في ذلك اليوم أشبه بالأموات فأحس حسين أنّه استطاع من خلال تعابير وجهها أن يقرأ ما يجول بخاطرها و ما تمر به من أزمة عاطفية و حاول التخفيف عنها وقع الأهوال بمنحها أمل في حياة جديدة قائلاً: «دي مش النهاية...النهاية إحنا اللي حنعملها أنا و أنت و محمود و كل الناس اللي بيحبوا مصر» (م. ن، ١٤٩) و فاجأها حسين باعتباره أول رجل بل أول انسان استطاع أن يلمس أزمتها و معاناتها في ظل مجتمع يقدس تقاليده البالية و يعتقد أن لها – كفتاة – دوراً مهماً في ذلك المجتمع.

و عندما أراد حسين أن يسافر في بعثة دراسية لألمانيا، و على رغم علمه بعلاقتها السابقة بابن خالتها فقد عرض عليها الزواج و أراد أن تركب الباخرة و تلحق به، و عندما أظهرت ليلى خوفها من أمواج البحر العاتية، اتشح حسين برداء الحكماء و حثها بجدية على مواجهة أزمتها بشجاعة قائلاً: «عشان نوصل للبر، ضروري نواجه الموج و البحر» (م. ن، ١٨٢) ليطمئنها بأنّها ستنجح في تمزيق خيوط الشرنقة التي نسجتها حولها بإحكام «و على البر حتلاقي الحاجة اللي ضاعت منك، حتلاقي نفسك، حتلاقي ليلى الحقيقية» (م. ن، ١٨٣) و نجد أنّ ليلى في نهاية الرواية تجد نفسها بالفعل في خضم المقاومة الشعبية للعدوان الثلاثي على أرض بورسعيد. و لعل من أهم و أبرز الأسباب التي دفعت ليلى لحب حسين هو أنّه على عكس عصام. فهو لا يخجل من حبه لها بل يفخر به و يريد أن يرى في حبهما النور «أنا بحبك و فخور إنّي بحبك و نفسي محمود و الدنيا كلها تعرف إنّي بأحبك» (م. ن، ١٨٦) فتكتشف معنى آخر للحب معه. فالحب لدي حسين يعني المصارحة و عدم كتمان المشاعر المرتبطة بالحب و اقترانه بالزواج المبني على الحب، و أنّه برغم علمه بعلاقتها السابقة برجل فأنّه لم يتردد في عرض الزواج عليها، مما أشعرها بأنّه مختلفاً كلياً عن كل رجال مجتمعها. فهو يريد أن يكون لها شخصيتها المستقلة و أن تقف على قدميها دون الإحتماء بأحد أو بشيء، «و لا أريد لك أن تستمدي ثقتك في نفسك و في الحياة مني أو من أي انسان. أريد لك كيانك المستقل و الثقة التي تنبعث من النفس لا من الآخرين» (م. ن، ٢١٠). و هو يحاول أن

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

يضع يدها على مفتاح شخصيتها فيقول أنّها غير سعيدة في حياتها لأنّها من داخلها تؤمن بالتحرر و الانطلاق و الانخراط و التوحد مع الجماعة فعندما تتظاهر بما ليس فيها و تنصاع للتقاليد فانها ستتحول إلى «مخلوقة بليدة معدومة الحس و التفكير» (م. ن، ٢١٠). و لكن عندما تندمج مع الجموع فسوف تتذوق حلاوة الحب الحقيقي؛ الحب الكبير الذي له مكانه السرمدي في القلب؛ «حب الوطن» و في محاولة منه أن يرشدها إلى الطريق الصحيح مساعداً إياها كان لكلمته الأخيرة لها المتعلقة بعنوان الرواية أثراً كبيراً على تحول شخصية ليلى «فانطلقي يا حبيبتي. إفتحي الباب على مصراعيه و اتركيه مفتوحاً» (م. ن، ٢١١).

و لكن تأثير صدمة خيانة عصام عليها كان قوياً، حيث أحدث داخلها شرخاً كبيراً فقد أحست بالضياع إذا ما خرجت عن دائرة الأصول المرسومة لها، فتغير مفهوم الحب لديها بعد أن كانت تراه دنيا جديدة أصبح مجرد خرافة و كلام معسول لم تجن منه الا الشقاء و المعاناة و على حد قولها أنّها بانسياقها وراء الحب و تمردها على تقاليد المجتمع مرة أخرى فهي «تسعي إلى النار بقدميها» (م. ن، ١٨٩).

الدكتور رمزي

بعد أن قررت ليلى إنهاء علاقتها بحسين و التحقت بالجامعة، يظهر الدكتور رمزي أستاذها في حياتها و يبدأ فصل طويل من مضايقاته لها في المحاضرات، فكان يسألها أصعب الأسئلة و يهزأ بإجاباتها و يجد لذة في السخرية منها أمام الجميع، فهو لا يريد أن يكون لها رأياً مستقلاً فعليها أن تعتنق مبادئه و تردد آراءه، فحاولت ليلى أن تقاوم و لكن أستاذها الجامعي استطاع أن يحطم بمعوله ما تبقى لليلى من مقاومة و إرادة. فقد كان كالنحّات الذي يقوم بتشكيل تمثالٍ وفقاً لإرادته فاكتمل التمثال و صار كما يريده النحات. حتى صارت ليلى مؤمنة بآرائه و معتقداته و أصبحت كالعجينة الطرية في يديه يشكلها كيف يشاء. و مع أنّ ليلى تؤمن في داخلها أنّها إنسان كفل لها الدين حرية الآراء، إلا أنّ المجتمع يؤكد لها عكس ذلك فتحس بالغربة الذاتية و بالتناقض الشديد بين ذاتها الواقعية و بين ذاتها المثالية، و لهذا ليس غريباً أن تسقط ليلى في هوة سحقية هداها إليها مجتمعها.

ذات يوم قال لها الدكتور رمزي في تحد مهدداً إياها كأنّما يريد نكأ جراحها «فيه ناس كتير بيستهينوا بالأصول و التقاليد بتا عتنا و لكن ضروري تعرفي ان من غير الأصول دي نبقي زي الشجرة من غير جذور شوية هوا تجرفها و توقعها كمان» (م. ن، ٢٣٥). حينذاك تذكرت ما حدث لها عندما خرجت عن الأصول، فاستسلمت بسرعة شديدة كأنّها طفلة يتيمة و ضائعة في هذا الكون و فجأة «لمحت جداراً كبيراً امتد لها ظله فجلست في ظل الجدار لا تفكر و ارتكنت عليه و ارتاحت و شعرت أنّها بخير طالما ارتكنت على الجدار و طالما امتد لها ظله و كأن الظل يمدها بضخامة كضخامة الجدار و بقوة من قوته و بصلابة من صلابته» (م. ن، ٢٣٦) فالجدار هو الدكتور رمزي الذي يمثل التمسك بالتقاليد و الأعراف و الإحتماء بظل الجدار هو عدم رغبة ليلى في الخروج عن هذه الأعراف اعتقاداً منها بأنّها بتمسكها بها قوية و أنّ التخلي عنها يعني انهيارها و ضياع مستقبلها تلك الأعراف التي لطالما وجدتها مزيفة و بالية.

حينذاك طلب منها أن تحدد موعداً مع والدها تمهيداً لزواجه منها. و في اليوم المحدد خرج إليها أبوها يبارك لها الزيجة بدون أن يستشيرها وكأن ليس لها أي رأي أو دور في اختيار من ستتزوجه فعليها أن تنفذ ما رسمه لها أبوها و زوج المستقبل. وهذا يعود إلى الحجر الشرقي على الفتاة

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

من قبل المجتمع الذكوري فحين يتكلمون لا يسمع صوتاً للفتاة فهي أقل شأناً و مكانة من الرجل. تقول لطيفة الزيات: «نتيجة لوضعيتي كامرأة في ظل مجتمع طبقي رجولي و التربية التي تتلقاها الأنثى في ظل هذا المجتمع تتلخص في إلغاء الذات لصالح الآخر الذي هو الرجل و إفناء هذه الذات في ذات الآخر بحيث يغيب صوت الأنثى الخاص و إرادتها الحرة و فعلها الإيجابي يغيب باختصار كيانها الحر المفترض في ندية مع كيان الرجل. أمي الأنثى المقهورة قهرتني لكي أتواءم مع مجتمع قاهر لا يتقبل سوى امرأة مقهورة. علمتني أمي ألا أفعل و ألا أقول و ألا أصرح، و صادرت كل مرة صوتي قبل أن يرتفع. باركت سلبيتي و أدرجت ايجابيتي في نوع من العدوانية. علمتني كيف أبتسم و كيف أنحني و حاصرت كل مرة غضبي بوصفه فعلاً منكراً و روضتني أمي و قلمت أظافري و علمتني أن الحب عطية بلا مقابل و أن للعطاء طريقاً واحداً علمتني أمي كيف ألغي ذاتي في المحبوب لكي أكون أو بالأحرى لكي لا أكون، و تعلمت فيما تعلمت أن أقهر ذاتي» (الزيات، ١٩٩٦، الكاتب و الحرية، ١٤).

و مع ترحيب المجتمع بهذه الزيجة، خانت نفسها و مبادئها و ارتضته خطيباً لها و وجدت نفسها كالعمياء تقترب من الدكتور رمزي في حين أنّها في داخلها تكاد تكون متأكدة من أنّها لا تكن له أي مشاعر لما يتميز به من جفاف المشاعر و زيف الأخلاق و شيئاً فشيئاً أصبحت خاضعة له و لأوامره و سلمت له الأمور تسليما تاماً خوفاً من الخروج عن التقاليد.

تعتبر الحكايات الجانبية أداة مهمة من أدوات إظهار الحدث الروائي، ففي إحدى حوارات الدكتور رمزي مع محمود، يتكشف لليلى وجهه القبيح و يسقط القناع الذي ظل مختبئاً وراءه مبلوراً نظرته الدنيئة للمرأة حين حكى لمحمود عن قصة حبه لفتاة عندما كان طالباً في الجامعة فبمجرد أن استجابت الفتاة لشهواته، سلبها أعز ما تملك و عندئذ لفظها للأبد و لم يخطر مصيرها له على بال. و فجّر الدكتور رمزي القنبلة عندما نصح محمود بأنّه إذا كان يحب سناء، فليختار له طريقة أخرى غير الزواج ليشبع غريزته!. حينئذ أرادت ليلى أن تصرخ صرخة تهتز لها جنبات الكون و أحست أنّها لا تنتمي لهذا المجتمع الظالم الذي يعطي الحق كل الحق للرجل و لكنه يحرم المرأة من أدنى حقوقها. فإذا أخطأ الرجل يغفر له، و اذا استجابت المرأة لهفوات الرجل، فسوف يحكم عليها بالإعدام. و اختتم الدكتور رمزي كلامه بتلك العبارة التي تلخص ما يؤمن به هو و أمثاله من معتقدات بالية «كلنا تروس في عجلة كبيرة و العجلة بتمشي و اللي يحاول يعطلها بيتحطم» (الزيات، ١٩٩٦، ٢٨٥) فهو يشبه المجتمع بالعجلة، حيث يتحرك أفراده كتروس العجلة وفقاً لآلياته التي يحددها و من يحاول مخالفة قواعده، يحطمه و ينكل به.

لاحت لليلى الفرصة التي انتظرتها لسنوات طوال. فقد أحست ليلى أنّها رأت بصيصاً من النور عندما أعلن عن فتح باب التطوع في الحرس الوطني في الجامعة، فتقدمت ليلى في جرأة و قامت بتسجيل اسمها للتطوع في الحرس الوطني. و قد أعادت ساعات التدريب في الحرس الوطني لليلى آدميتها، فقد منحها الإحساس بأنها «جزء من كل» (م.ن، ٢٤١)، ذلك الإحساس الذي قد حن إليه قلبها كثيراً. وأصبحت تملك مقومات المواجهة مع الذات والتغلب على ضعفها فعندما صارت محط سخرية الجميع بعد ما قاله الشاويش عن طريقة تصويبها، تحدت نفسها وأثبتت للجميع أنّها ليست فقط على عكس ما قاله بل هي أفضل من الجميع مما أعطاها الأمل في أنّها اذا أرادت، قطعاً ستصل إلى ما تريد.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

كان الخطاب الذي ألقاه الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر عن ضرورة تأميم قناة المصريين في عام ١٩٥٦ م بمثابة حل عقدة الرواية حيث يعد هذا الخطـــاب هـــو الشعلة التي توهجت في وجود ليلى عندما استمعت اليه عبر أثير المذياع فقد أحست أنّها قوية و أنّها قادرة على فعـــل كل شيء. (م. ن، ٣٠٦) وعندما أصر الدكتور رمـــزي على أن يتم تعيين ليلى كمدرســـة للفلســـفة في إحـــدى المدارس في القاهرة - بعد تخرجها - كانت حينذاك قـــد وعيت تماماً أنّها لا تستطيع استيعاب قبح الواقع أو التوافق معه وكانت كل مخاوفها قد تلاشت و تمردت على قيود الماضي وإيماناً منها أنّ مكان تعيينها هو بداية حياة جديدة لها، و لأنّ السفر في حد ذاته يحمل بين طياتـــه رغبـــة في التحول و تجاوز الواقع، رغبت أن تتعين في بورســـعيد - مدينة المقاومة الشعبية الباسلة - وكتبت رغبتها في طلـــب العمل و لم تطلع أحداً على ما نوت فعله فبعد أن امتلكت القدرة على أن تواجه كل التحديات التي شلت حركتها و حولتها لإنسانة سلبية و نجحت في فتح الباب الموصد بأعتى الأغلال، أرادت أن تتيح لذاتها المتوهجة الفرصة للمشاركة في العمل الجماعي «أحست ليلى بالمساواة الحقيقيـــة لأول مرة حين أتيح لها حق الدفاع عن الوطن» (وادي، ١٩٩٤، ٢٠٢). فاختارت أن تلبي نداء الوطن، و بالفعل بـــدأت عملها هناك.

الجدير بالذكر أن العمل يأتي كخطوة ثانية بعد التعليم في الطريق إلى تحقيق الذات. «تحاول ليلى تحقيق الـــذات و الهوية بالعمل بعيداً عن الأسرة (رمز المجتمع) و عن الدكتور رمزي (رمز القيم السلفية) وتنضم إلى بيئة أكثـــر تحـــرراً واتساعاً في الأفق و تبتعد عن الماضي و تشعر لأول مـــرة بالتحرر». (ناجي، لا تا، ٩٠) و في ٢٩ أكتـــوبر ١٩٥٦ شنت القوات الإسرائيلية و البريطانية و الفرنسية هجومـــاً مشتركاً على مصر و تحديـــداً ضـــد المواقـــع المهمـــة في بورسعيد. و في الخامس من نوفمبر في نفس هذا العام اشتد العدوان بضراوة على أهالي مدينة بورسعيد و أسقط العديد و العديد من الشهداء. شرعت ليلى حياة جديدة لها حين انضمت إلى رجال الإسعاف لمساعدتهم على نقل الجرحي والمصابين فقد «خرجت من دائرة العائلة، من دائرة الأنـــا إلى دائرة الكل و ما من أحد يســـتطيع أن يوقفهـــا الآن» (الزيات، ١٩٩٦، ٣٣٢).

و في اليوم الموعود وقفت الفتيات و الســـيدات مـــع الرجال خلف القبور يحتمون بها و كان بينهم ليلى، ولكن عدو ليلى لم يكن هو من يختبيء خلف أسوار المطـــار و لم يكن الموت بل «إنّ عدوها الرئيسي يرقـــد في أعماقهـــا، ضعفها» (م. ن، ٣٣٤) الذي قررت أن تتحداه و تتغلب عليه.

آنذاك اشتعلت نيران الحرب و استبسل المصـــريون في الدفاع عن أرضهم فتراجعت فلول العدوان أمام استبسالهم و نجحت القوات المصرية ثانيةً في دحر العـــدوان مخلفـــة وراءها شهداء كثر و كان من بينهم عصام، و مصابين و من بينهم ليلى و في المستشفي استرجعت ما حدث لها في الإشتباكات مع العدو و كيف كانت تعبىء بندقيتها و ترفع رأسها لتواجه العدو بوجهه القبيح و تصـــوب و ينطـــرح العدو أرضاً و انتشت مزهوة بنفسها...و تساءلت في فخر كم عدواً قتلت؟! و تمنت أن تعيش لترى تراجـــع العـــدو نهائياً من بورســـعيد أمامهـــا...أمامهـــا هـــي «و هـــي تستطيع...كل شيء تســـتطيعه...لا شـــيء أصـــبح الآن مستحيلاً» (م. ن، ٣٤٣).

بعد أن استردت ليلى صحتها أحست أنّها اســـتطاعت أنّ تمزق خيوط الشرنقة التي أحكم المجتمع اغلاقها عليها و أنّها تحررت من سجن الذات، و بعدما علم حسين مـــن

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

محمود بالدور الذي قامت به في رد العدوان، طلب أن يذهب اليها و هناك انتظرته ليلى على عتبة «الباب المفتوح» (م. ن، ٣٤٤) الذى استطاعت أن تفتحه بأيديها و بإرادتها الحرة التي استردتها بعد ضياعها سنين. و اتجهت ليلى برفقة حسين و كل المصريين صوب تمثال دليسبس الذي شيده الإنجليز وكان يعد رمزاً لهم و أرادوا أن يحطموه لأنّه «رمزاً يشدهم إلى ماض بعيد و يحول بينهم و بين الإندفاع إلى مستقبل أفضل» (م. ن، ٣٤٩)، وهناك صاحت ليلى في انفعال «الأصول، ضروري الأصول...الأساس، المهم الأساس» (م. ن، ٣٥٠) وذلك في إشارة منها إلى أصول المجتمع و تقاليده المتوارثة «أي المطالبة بالتغيير الجذري و الثوري و ليس بالانقلاب الذي يغير الأقنعة فقط» (غزول، ١٩٩٣، ١١٨). فقام أحدهم بوضع القنبلة في أعماق التمثال و أشعل الفتيل. حينذاك دوّى في الفضاء انفجار هائل و تناثرت أشلاؤه و تنفست ليلى الصعداء و شعرت بارتياح «لقد خرجت ليلى من مستنقع القيم البطريركية و طين منظومتها الصارمة لتتجاوز أناها الفردية و تنخرط في الفعل الجماعي الوطني دفاعاً عن أنا الأمة» (عيد، ١٩٩٦، ١٥٧). و ها هي ليلى الآن قد حققت إنجازاً شخصياً و اختارت من يريد قلبها ليشاركها حياتها الجديدة و شاركت أيضاً في تحقيق الإنجاز الأكبر و هو تحرير الوطن من بقايا الإستعمار و المتمثل في تمثال دلسبس. فقد تزامن نضج شخصية البطلة مع نضج الحدث التاريخي. «حقاً لا يجد الإنسان نفسه إلا إذا فقد هذه الذات بداية في قضية أكبر من ذاتيته و في حقيقة أكبر من حقيقته» (مجله الف، ١٩٩٠: ١٠ ، ١٣٨).

الجدير بالذكر أن الزمن في الرواية لعب دوراً كبيراً في تقدم أحداث الرواية و تطور شخصية ليلى فبمرور الزمن تنضج ليلى و تزيد مقاومتها للظروف المفروضة عليها بحيث أننا لو محونا اسم ليلى من الرواية، سيعتقد القارىء أنّه في مواجهة شخصيتين مختلفتين واحدة سلبية في أول الرواية و الأخرى ايجابية في نهاية أحداث الرواية.

النتائج

نجحت الروائية لطيفة الزيات في رسم نموذج لشخصية الفتاة المصرية و اغترابها عن ذاتها و مجتمعها في ظل مرحلة حساسة من مراحل التغيير الاجتماعي في مصر حيث تعاني الفتاة من تمزق و تشتت ما بين ما يمليه عليها مجتمعها و بين ما تريد أن تكونه، فتختار البطلة أن رفض واقعها و العيش وفق ما تمليه عليها ذاتها المثالية.

في نهاية الرواية نجحت ليلى في تحقيق المعادلة الصعبة و استطاعت أن تمسك بيدها بكل الخيوط في آن واحد، فهي فتاة عاملة و لها دور إيجابي مهم في تحرير وطنها و بنائه، و لم تنس أنوثتها و اختارت من أحبت ليشاركها حياتها.

١.بسبب فقد البطلة لثقتها بنفسها كانت دوماً تلجأ إلى الآخرين كي تحتمي بهم و تعيش في ظلهم ففي مرحلة الطفولة كانت تحتمي بأخيها و قدوتها في الكفاح و النضال من أجل الوطن التي كانت تري دنياها التي تريدها بعينيه، و أما في مرحلة المراهقة فقد لجأت إلى عصام لعله يفتح لها باب عالم الحرية السحري و لكنه بدلاً من ذلك أدخلها إلى دنيا قبيحة مظلمة فخذلها و حطمها وكان السبب في فقدانها لثقتها في نفسها و في كل المحيطين بها و لهذا اعتقدت أنّها بلجوئها إلى تقاليد و أصول المجتمع و تسلحها بها، سوف تحيا حياة مريحة بدون ألم فاستجابت لضغوط الدكتور رمزي غافلة عن أنّها بتلك الطريقة تتحصن ضد الحياة التي تخشاها فرأت الدنيا كلها في (الأنا) فعاشت حبيسة في دائرتها و لكن حين اكتشفت أنّ من يتمسكون بالتقاليد أناس

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

فاسدون، أيقنت أن التمسك بها سيلقي بها إلى التهلكة.

٢. الشخصيات الذكورية كمحمود، وعصام و الدكتور رمزي هم بكل ما يحملونه من ميراث للعادات و التقاليد، ممثلون للمعايير المزدوجة السائدة في مجتمعاتنا فهم يتشدقون بمجموعة من المباديء و الأفكار في حين يقف ما تربوا عليه حائلاً دون أن يقوموا بالعمل بها.

٣. ان علاقة ليلى العاطفية بكل من عصام، والدكتور رمزي و حسين أثرت بشكل واضح على تطور شخصية البطلة سلباً و إيجاباً، إقداماً و إحجاماً، و لكن تشجيع حسين المستمر لها، يؤدي إلى استقرار الشخصية نفسياً و إلى أن تعود إلى صوابها و تختار الطريق الصحيح الذي لابّد و أن تمشي فيه و تشارك الجميع في حركة المقاومة في ردع العدوان الثلاثي. و عندما تريد إنهاء علاقتها مع الدكتور رمزي و قبل ذلك مع عصام فذلك يعتبر انتصاراً يحسب لها على تقاليد المجتمع البالية بينما تنجح علاقتها بحسين لأنّه يمثل جيل الشباب الذين يؤمنون بضرورة عدم الإنصياع الأعمى للتقاليد و إيماناً منه بقضية المرأة، فيساعد ليلى على أن تسترد ثقتها بنفسها و في قدراتها اللا محدودة التي تمكنها من تجاوز هذه المخاوف.

٤. لقد خرجت ليلى من دائرة الذات لتنفتح على العالم الخارجي و تنخرط مع الجماهير لخدمة قضية أكبر من الذات، وهي قضية الوطن.

٥. اختارت الكاتبة شخصية واقعية من بين الناس لترسم ملامحها بدقة. فهي فتاة تمر بلحظات قوة و ضعف و بين هذا و ذاك تتشكل شخصيتها، فتنتابها أحياناً لحظات ضعف حين يقهرها المجتمع و يقيد حريتها و يسلب ارادتها فتضطر إلى الإمتثال له و تقديم فروض الطاعة و الولاء لرموزه و لكنّها تتغلب على ذلك لحظات شعورها بالقوة، ففي مرحلة المراهقة هي فتاة شجاعة ذات إرادة صلدة ترتفع فوق الأكتاف لتقود مظاهرة ضد الإستعمار و أعوانه، بل تتحدى التقاليد و الأعراف و تحب من يدق له قلبها و تفخر بهذا الحب، و في مرحلة الشباب تشارك متطوعة في الحرس الوطني و في نهاية الرواية تحرز إنجازاً على المستويين الشخصي و العام؛ فعلى المستوى العام تحرر الوطن جنباً إلى جنب مع الرجال في معارك ضارية حاملة بندقيتها موقعة بها العديد و العديد من الأفراد في صفوف العدو، و على المستوى الشخصي تبدأ حياتها الجديدة مع من اختارته هي.

٦. في المجتمع المصري كسائر المجتمعات العربية كثير من الليلاوات اللاتي إن لم يقهرهن أب أو أم فالمجتمع يقف لهن بالمرصاد و يعمل على قص أجنحتهن و يهمش دورهن بقيمه المتعفنة التي تقيّم المرأة على أنّها جسداً بلا عقل.

المصادر والمراجع

[١] ذو القدر، فاطمة، (٢٠١١ م) "شخصية المـرأة في الأدب الكويتي الحديث: قصص ليلى عثمان نموذجاً"، مجلة العلوم الانسانية الدولية للجمهورية الإيرانية الإسلامية، السنة ١٨، العدد ١٨ (٣)، صيف.

[٢] الراعي، علي(١٩٩١)، الرواية في الوطن العربي، دار المستقبل العربي،

[٣] روشنفكر، كبرى، (٢٠٠٤م)و صلاح الدين عبدي، "صدي المرأة و دورها في الأعمال الواقعية لنجيب محفوظ" مجلة العلوم الانسانية الدولية للجمهورية الإيرانية الإسلامية، السنة ١١، العدد ١١ (٢)، صيف.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

[٤] روشنفكر، كبري، (١٣٨٦) مجموعة مقالات مؤتمر المرأة و البحث العلمي، مركز دراسات و بحوث المرأة بجامعة طهران.

[٥] الزيات، لطيفة، (١٩٩٦) الباب المفتوح، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[٦] الزيات، لطيفة، (١٩٩٦)، الكاتب و الحرية، الأدب و الوطن، نور دار المرأة العربية للنشر،مجموعة من المؤلفين.

[٧] عبادة، عبد الفتاح، (١٩١٩) نهضة المرأة المصرية و المرأة العربية، القاهرة: مطبعة الهلال، م.

[٨] عيد، عبد الرازق، (١٩٩٦) النور ينبعث من الداخل، الأدب و الوطن، نور دار المرأة العربية للنشر، مجموعة من المؤلفين.

[٩] غريب، مأمون، (١٩٩٣/٢/٣) الدكتورة لطيفة الزيات و تشكيل الوعي السياسي للمرأة، آخر ساعة، القاهرة،.

[١٠] غزول، فريال جبوري، (١٩٩٣) ايديولوجية بنية النص، لطيفة الزيات نموذجاً، مجلة فصول، القاهرة، المجلد ١٢، ش ١، ربيع.

[١١] فوزي، محمود، (١٩٨٧) أدب الأظافر الطويلة، دار نهضة مصر للطبع و النشر.

[١٢] مجلة ألف، حوار مع لطيفة الزيات، (١٩٩٠م) العدد ١٠.

[١٣] مرتاض، عبد الملك، (١٩٩٨) في نظرية الرواية: بحث في تقتنيات السرد، الكويت: عالم المعرفة.

[١٤] مهران، فوزية، (١٩٩٥) مصريات رائدات و مبدعات، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[١٥] ناجي، سوسن، المرأة في المرآة: دراسة نقدية للرواية النسائية في مصر (١٨٨٨- ١٩٨٥)، العربي للنشر و التوزيع، لا تا.

[١٦] وادي، طه، (١٩٩٤) صورة المرأة في الرواية المعاصرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

[١٧] يوسف، شوقي بدر، (٢٠٠٦) الرواية و الروائيون، دراسات في الرواية المصرية، مؤسسة حورس الدولية.

[18] http://www.bmhh.com/vb/showthread.php?t=1381118.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

دختر مصری در رمان "الباب المفتوح"

(با تأکید بر ساختار داستانی)

حنان محمد موسی طاحون[١]، ناصر نیکوبخت[٢]، غلامحسین غلامحسین زاده[٣]، کبری روشنفکر[٤]

تاریخ دریافت: ٩٠/٦/١٩ تاریخ پذیرش: ٩١/٢/٢٤

رمان «الباب المفتوح» (درگشوده) نوشته‌ی دکتر لطیفه الزیات که یکی از صد رمان برتر عربی به شمار می‌رود، به مسائل مهمی در حوزه‌ی مطالعات زنان می‌پردازد. از جمله‌ی این مسائل، رابطه ی بحث - برانگیز آزادی دختر از یک طرف و آزادی میهن از سوی دیگر است. نویسنده نتیجه می‌گیرد که دختر، خود و آزادی خویش را نمی یابد مگر این که در ابتدا آن را در کلیتی بزرگ‌تر و مهم‌تر که در رمان مورد بررسی، مبارزه برای رهایی و آزادی میهن از استعمار است بیابد.

لیلی شخصیت اصلی رمان، دختری دانشگاهی است که به رهایی از اسارت سنت‌ها و اصول متعارف و پوسیده ی جامعه دعوت می‌کند. او نمونه ای از دختران مصری است که در جامعه ای مردسالار زندگی می‌کند که به زن با نگاهی تحقیرآمیز می‌نگرد و تلاش در سرکوب آرزوها و بلند-پروازی هایش دارد و با وجود این، لیلی، به خاطر اراده ای قوی در دفاع از حقوقش، الگوی دختران دیگر می‌گردد.

در پایان رمان، لیلی موفق می‌شود هم در سطح شخصی کسی را که به او دل داده، به عنوان شریک زندگی انتخاب کند و هم در سطح عمومی در دور راندن استعمارگران و آزاد کردن میهنش شرکت نماید.

این مقاله با روش توصیفی - تحلیلی و در پرتو نقد اجتماعی، سیمای دختر مصری در «الباب المفتوح» از لطیفه الزیات بررسی می کند و هدف از این بررسی آگاهی از نقش مهم زن – در تاریخ معاصر مصر به ویژه استقلال میهن و ساخت آینده ای بهتر و همگام با مرد است.

کلید واژه‌ها: زن، ادبیات زنان، لطیفه الزیات، الباب المفتوح.

١ . دانشجوي دانشگاه تربیت مدرس
٢ . دانشیار دانشگاه تربیت مدرس
٣ . دانشیار دانشگاه تربیت مدرس
٤ . استادیار دانشگاه تربیت مدرس kroshan@modares.ac.ir

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]

An Egyptian Woman in the Novel *Al-Bab al-Maftooh*: Emphasis on the Constructive Fiction

Hanan Mohamad Mosa Tahon,[1] Naser Nikobakht,[2] Gholamhosein Gholamhoseinzade,[3] Kobra Roshanfekr[4]

Received: 2011/9/10 Accepted: 2012/5/13

Abstract

The novel *Al-Bab al-Maftooh* by Latifah al-Zeyat is considered to be one of the best among dozens of Arabic novels for the issue it tries to highlight. One such issue is about the debatable relationship between the freedom of a girl on the one hand and the freedom of the society she lives in, where the author reaches to the conclusion that the girl does not find her freedom unless she accomplishes universality that is more important and bigger aspect and what the novel deals about is the struggle for her emancipation and liberation of country from colonialism.

Leila -the main character of the novel- is an Egyptian college girl who is calling for liberation from tradition and crumbling social customs. She is a model for Egyptian girls living in a male-dominated society where women are being looked inferior and always face suppression of dreams and ambitions, and yet Leila, with her strong will in defending her rights, is a role model.

At the end of the novel, Leila succeeds in achieving her personal feat and chose the one she fell in love. With her success at social level, she participates in the accomplishment of the biggest achievement i.e. to liberate the nation from the colonial rule.

With descriptive -analytical approach, the current research takes into account the social criticism and the girl's image in the feminine work of *Al-Bab al- Maftooh* by Latifa al-Zeryat. The study aims to highlight the role of women in the historical incidents and their active participation side by side with men for better future.

Keywords: Arabic Novel; Women, Feminist Literature; Latifa al-Zeryat; *Al-Bab al- Maftooh*

1. Phd Student, Faculty of Humanities, Tarbiat Modares University & Assistant Professor at Cairo University
2. Associate Professor, Faculty of Humanities, Tarbiat Modares University, Tehran
3. Associate Professor, Faculty of Humanities, Tarbiat Modares University, Tehran
4. Associate Professor, Faculty of Humanities, Tarbiat Modares University, Tehran
kroshan@modares.ac.ir

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-11-26]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1433.19.2.2.3]